

## لغز بني إسرائيل بين الكتاب المقدس وكتب التاريخ والآثار

نجاه نصر فواز

ربما تكون كلمة لغز في عنوان هذا المقال مثيرة بعض الشيء، ولكن الواقع هو أن المثير، أكثر هو عدم مطابقة هذه التسمية مع الوقائع التي كشف عنها علم الآثار، حيث تبين أنه لم يوجد يوماً ما قبيلة أو قوم أو شعب أو دولة بهذه التسمية في الشرق العربي، وتحديدًا على أرض فلسطين، ويعتبر الأثر الأوحده خارج إطار الكتاب المقدس والقرآن الكريم هو ذكر هذه القبيلة على مسلة مرنبتاح، ولوحة مرنبتاح المعروفة أيضاً بـ بلوحة انتصار مرنبتاح، هي لوحة تذكارية لفرعون مصر مرنبتاح الذي حكم مصر بين ١٢١٣ - ١٢٠٣ قبل الميلاد، تذكر هذه اللوحة انتصار الفرعون أمنحتب الثالث في بلاد الشام ومن ضمنها قبائل إسرائيل، كما فسر البعض من العلماء، وقد اكتشفها المؤرخ "فلنדרز بيتري" في طيبة - الأقصر حالياً - عام ١٨٩٦ بعد الميلاد.

واللوحة موجودة بالمتحف المصري، وهي لوحة من الجرانيت الأسود، تُعرف بـ «لوحة إسرائيل»، نظراً لما تصوره البعض من ورود اسم (إسرائيل) على اللوحة، والنص المنقوش على اللوحة هو للملك «مرنبتاح» ابن «رمسيس الثاني»، وجاء ضمن النص أسماء القبائل والإمارات التي قضى عليها الملك؛ وأخضعها لحكم مصر، ومنها الفقرة التالية: «وأقفر يزريل، ولم يعد له بذور». وقد ترجم البعض (يزريل) بـ (إسرائيل)، ويؤكدون ذلك بورود التسمية ضمن أسماء القبائل والإمارات الأخرى التي أخضعها الملك، مثل "خاتي"، و"كنعان"، و"عسقلون"، و"ينعم"، و"خارو"، وكلها تشير إلى منطقة سوريا وفلسطين. ويعتقد العالم المصري "زاهي حواس" أن هناك احتمالاً كبيراً أن "يزريل" التي ذكرت على لوحة «مرنبتاح» لا تعني «إسرائيل»، وحتى لو فرضنا أنها إشارة إلى بني إسرائيل ستكون هي المرة الأولى التي تُذكر فيها إسرائيل في المصادر المصرية القديمة، وذكرها لا يكون دليلاً، على الإطلاق، على أن الملك «مرنبتاح» هو فرعون الخروج.

وباعتقاد المفكر والباحث الفلسطيني د. علاء أبو عامر مؤلف كتاب " فك الشيفرة التوراتية " أن كلمة "يزريل" الوارد ذكرها في مسلة مرنتاح لا تعني قوما بل سهلا زراعيا في شمال فلسطين وهو سهل "يزرعيل" التسمية القديمة لسهل مرج ابن عامر والعبارة واضحة بأنها تعني ذلك السهل الزراعي «وأقفر يزريل، ولم يعد له بذور». حيث يتساءل المفكر الفلسطيني ما دخل عبارة جفاف البذور بشعب أو قبيلة. أو غير ذلك، واضح إذ أن المقصود هو السهل الزراعي الفلسطيني.

ومرج ابن عامر أو سهل زرعين (بالعبرية: **למק יזרעאל**) "عميق يزراعيل" أو "يزرعيل" حسب تسميته في التوراة (العهد القديم). هو مرج واسع بين منطقة الجليل وجبال نابلس في شمال فلسطين التاريخية وتحديداً في لواء الشمال حسب التقسيم الإداري الإسرائيلي، صورته على شكل مثلث أطرافه: حيفا، جنين وطبريا. يبلغ طوله ٤٠ كم وعرضه المتوسط ١٩ كم ومساحته الكلية ٣٥١ كم.

وهكذا يعود لغز بني إسرائيل لي طرح أسئلة شتى حول من كان هؤلاء؟ ولماذا لم يتم العثور على لقي تاريخية تخصهم؟ ولماذا فقط جاء ذكرهم في الكتب الدينية دون غيرها وهي التي تمجدهم وتمنحهم قيمة كبيرة كسلالة مقدسة أثرت تأثيراً كبيراً في تاريخ وقيم المشرق العربي؟!

وفي ظل هذه الحيرة التي استرعت انتباه الكثير من العلماء طرح المؤرخ اللبناني "د. كمال الصليبي" كتابه المثير "التوراة جاءت من جزيرة العرب" والذي ادعى فيه أنه وجد أرض التوراة في عسير جنوب غرب العربية السعودية، وبالرغم من الضجة الكبرى التي أثارها إلا أن الأمر أصبح مشكوكا فيه.

وباستثناء مقارنة بعض الأسماء الجغرافية بالأسماء التوراتية لم يكن هناك جديد وحتى الأسماء التي اعتبرها مطابقة للأسماء التوراتية لم تكن دقيقة على الإطلاق وقد قام الكاتب السوري المتخصص في الميثولوجيا "فراس سواح" بالرد على نظرية الصليبي في كتابه "الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم" ليس بالبراهين التوراتية والإركيولوجية فقط ، بل وناقش نظرية الصليبي حول تطابق أسماء مدن جزيرة العرب مع مدن التوراة ومدن الساحل الفلسطيني ومواقعها المفترضة فيقول: أن الصليبي يعثر على "غزة" في موقع "العزة" الحالي في وادي أضم، و" أشدود" في " السدود" في منطقة جبال ألمع ، و " اشقلون" في "شقلة" بجوار مدينة "القنفذة"، و "جت" في "الغاط" بمنطقة جيزان، و"عقرون" في "عرقين" بوادي عتود الفاصل بين جبال ألمع ومنطقة جيزان. ولكن نظرة سريعة على خارطة الصليبي رقم ٣ ، تظهر أمراً في غاية الغرابة، فالمدن الخمس التي عثر عليها في غرب العربية، تتوزع على مسافات شاسعة جداً عبر بلاد عسير من أقصاها إلى أقصاها، وتتباع عن بعضها مئات الكيلومترات عبر مساحات مليئة بمدن الشعوب الأخرى التي تعرف عليها الصليبي هناك ، مثل أهل يهودا وأهل إسرائيل والكنعانيين والآراميين. فالعزة (غزة) الواقعة في منطقة الليث، والغاط (جت)

الواقعة في جيزان ، تبعدان عن بعضهما حوالي ٧٠٠ كم .والسدود (أشدود) تبعد عن شقلة (أشقلون) أكثر من ٢٠٠ كم .وعرقين (عقرون) تبعد عن شقلة ٥٠٠ كم .فكيف تسنى لشعب واحد ، أن يبني مدنه الخمس على هذه الأرض الواسعة، وفي مواقع متباعدة عبر أراضي الأعداء!؟

في الحقيقة فقد خرج من عباءة د. كمال الصليبي، وأكمل دربه الكثير من الكتاب العرب في تأكيد على أن "الجغرافيا التوراتية" أي "أرض التوراة" هي في عسير واليمن. من هؤلاء الكاتب العراقي "د. فاضل الربيعي" الذي أصدر مجموعة من الكتب حول هذا الموضوع منها: "فلسطين المتخيلة" و "القدس ليست أورشليم" و "المسيح العربي" وغيرها. وكذلك فعل الكاتب الفلسطيني "د. زياد منى" في كتابه "جغرافيا التوراة، مصر وبنو إسرائيل في عسير".

وحاول "الكاتب المصري "سيد القمني" من خلال كتابيه الرائعين "النبى إبراهيم والتاريخ المجهول" و "النبى موسى وآخر أيام تل العمارنة" الربط بين بني إسرائيل وعلم الآثار ليجد مكانا لهم يحل هذا اللغز المحير بين ما هو ديني وإركيولوجي ولكنه لم يفلح تماما في ذلك.

وبالرغم من جمالية الفكرة التي تداولها هؤلاء الكتاب والمؤرخون والتي قرأتها بتمعن إلا أنها تبقى فرضيات لم يؤكد علم الآثار بعد، وربما ردُّ الكُتّاب والمؤرخين على بعضهم البعض يعتبر كافياً لأن نصل إلى قناعة بأن كل هذه الفكرة (أو لنقل النظرية تجاوزاً)، ليست مقنعة تماما مع أنه لا يمكن تجاهلها واحتمال أن تجد لها أساسا من المصدقية في المستقبل.

وفي الحقيقة فإن أكثر الكتاب العرب بل والغربيين اقترابا من الحقيقة هو د. علاء أبو عامر في كتابه "فك الشيفرة التوراتية" وكتابته الثاني الذي صدر قبل أيام " في البدء كان إيل" كما أخبرني صديق ومؤرخ يهودي تقدمي كنت قد أطلعت على فحوى الكتاب وترجمت له بعضا من نصوصه إلى العبرية.

تتمحور نظرية الدكتور علاء أبو عامر في اكتشافه وجود نصين متداخلين في كتاب العهد القديم: نص إيلوهيمي أو إيلي نسبة إلى إيل، ونص يهوي نسبة إلى يهوه، ويستنتج من ذلك أن هناك عقيدتين دينيتين متداخلتين، وبعد أن يفككهما في كتابه " في البدء كان إيل" يُخرج اليهودية ويرجعها إلى الهندوسية والمجوسية وإلى قوم من الهندو آريين. يكتشف أن اسمهم كان الحوريين الذين استوطنوا هضاب وجبال الضفة الغربية منذ القرن ١٨ قبل الميلاد، وبقوا في فلسطين إلى زمن السيد المسيح وهؤلاء هم اليهود، وقد أطلقوا على أنفسهم اسما مجازيا توراتيا وهو مسري الله (أسر إيل بمعنى أفرح إيل) وهذا الاسم لم يكن قريبا أو جغرافيا على الإطلاق. ولكنه يكتشف أيضا أن بني إسرائيل الوارد ذكرهم في القرآن والتوراة والأنجيل هم قبيلة عربية ثمودية اندثرت كانت قد سكنت شمال الحجاز مكة والمدينة وشرق الأردن من خلال متابعة رحلة يعقوب في طريقه إلى مضارب خاله

لابان كي يخطب ابنته راحيل. فمضارب القبيلة كانت في بلاد بني المشرق ديار قيذار ومدين شمال الحجاز(السعودية اليوم). ويسوق الكاتب عشرات الأمثلة والأدلة والقرائن ليبرهن على عروبة قبيلة بني إسرائيل، وليؤكد أنها لم تكن يهودية بالمجمل مع أن بعضاً من أفرادها تهودوا في مرحلة ما.(انظر د. علاء أبو عامر: فك الشيفرة التوراتية ص 05-124)

ولكن أكثر ما بهرني وبهر كل من قرأ الكتاب هو إصرار الكاتب على أن لغة التوراة الموسوية وبالتالي لغة بني إسرائيل كانت العربية الفصحى لغة القرآن، وهو موضوع أثار تعليقات من غير الخبراء باللغة العبرية، فاعتبروا الكاتب قد جازف وبالح في استنتاجه من حيث أنه استخدم طريقة غير علمية في استنتاجه...! وبعد سماعي لهذه الآراء التي باعتقادي صدرت عن أشخاص لم يقرأوا الكتاب أساساً بل سمعوا عنه ولم يقرأوه فعلياً، فلو قرأوه لوجدوا أن كل ما قام به الكاتب كان ذا منهج علمي، حيث عاد في تفسيره لأسماء بني إسرائيل، قبل أن يخرج باستنتاجه إلى قاموس الكتاب المقدس وإلى أصدقاء من المختصين في اللغة العبرية بينهم أنا شخصياً، وناقشهم في كل اسم على حدة وفي النهاية اعتمد أسلوباً مدهشاً للوصول إلى الحقيقة حيث بحث عن مصدر التسمية من كلمات قالتها زوجات يعقوب ليثة أو رحيل أو قام بإعادتها إلى الحدث الذي وقع وجاء بعده الاسم.

وفي هذا المقال سوف أقوم بالتركيز على هذا الجانب من الكتاب نظراً لأهميته، وهي محاولة لاستجلاء الحقيقة. وبالرغم من أنني متمكنة جداً من اللغة العبرية إلا أنني عدت في مقارنة استنتاجات د. أبو عامر في كتابه المميز إلى خبراء في اللغة العبرية من اليهود لجعل بحثي هذا يتسم بمصداقية أكبر.

ولنأخذ بعض الأسماء على سبيل المثال لا الحصر التي أعتبرها الكاتب عربية أصيلة في مصدرها:

-زوجات يعقوب:

١. راحيل: الناقة بالعربية تسمى "الراحلة" كونها وسيلة السفر في تلك الأيام.

٢. ليثة: وهي البقرة الوحشية، والألأى: الإبطاء والاحتباس، بوزن اللعا، وهو من المصادر التي يعمل فيها ما ليس من لفظها، كقولك لقيته التقاطاً وقتلته صبراً ورأيته عياناً؛ قال زهير: فلأياً عرفت الدار بعد توهم وقال اللحياني: الألأى اللبث، وقد لأيت لأى لأياً، وقال غيره: لأيت في حاجتي، مشدّد، أبطأت.

٣. زلفة: الزلف والزلفه والزلفى: القربة والدرجة والمنزلة.

٣. بلها: البله: العفلة عن الشر وأن لا يحسنه؛ بله، بالكسر، بلهاً وتبَّله وهو أبَّله وابتَّله كبَّله.

- مصدر أسماء الأسباط:

٤. روبن: يقول التكوين: " ٣١ وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ لَيْئَةَ مَكْرُوهَةً فَفَتَحَ رَحْمَهَا، وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ عَاقِرًا. ٣٢ فَحَبِلَتْ لَيْئَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «رَأُوبَيْنَ»، لِأَنَّهَا قَالَتْ: «إِنَّ الرَّبَّ قَدْ نَظَرَ إِلَى مَذَلَّتِي. إِنَّهُ الْآنَ يُحْيِي رَجُلِي». " (تك: ٢٩)

لننظر ماذا قالت لئئة: سمته روبن لأن الله نظر لمذلتها، ومن يقرأ التوراة يعرف أن زواج لئئة من يعقوب جاء عبر عملية خداع مارسها لابان خال يعقوب عليه، ولذلك لم يكن يعقوب يحبها بل كانت محبته لأختها رحيل زوجته الثانية وحيث أن الأولى كانت عاقراً أرادت لئئة أن تسجل نقطة لصالحها في مقابل أختها راحيل فحملت الصبي وخرجت إلى يعقوب ونسائه مفتخرة بما رزقت قائلة وبفرح: " رو-بن " أي " انظروا ابن " رو هو فعل الأمر من " رأى " مضارعه يرى وفعل الأمر للمفرد را، وللجمع رو، وبن تعني ابن أي ولد أو ذكر. وقد ذهب الحدث اسما للصبي.

٥. شمعون: " ٣٣ وَحَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتْ ابْنًا، وَقَالَتْ: «إِنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ أَيْ مَكْرُوهَةً فَأَعْطَانِي هَذَا أَيْضًا». فَدَعَتْ اسْمَهُ «شَمْعُونُ». " (تك: ٢٩) ومن الواضح أن الاسم قد حرف لأنها قالت الرب قد سمع كلامي والرب مفرد وليس جمع أي آلهة فالأصح أن تقول سمعان لان إله إبراهيم كان إلهاً واحداً وهو أيل فكيف تقول شمعون أي سامعون. ونجد هذا الاسم قد توارثته الأجيال بعد عصر يعقوب عليه السلام وأبنائه، فما هو في عصر المسيح عليه السلام يحمله أكبر تلاميذه أي " سمعان الصفا"، وهذا دليل على أن بني إسرائيل ظلوا محافظين على نقاء الاسم قبل التحريف الذي تعرضت له التوراة على يد الكتبة والأخبار وبعده، فالأسماء تتناقلها الأجيال وتحافظ في العادة على نقائها كونها تصبح تراثاً قومياً أو عائلياً وما زال العرب وحتى اليوم يسمون أبنائهم بهذا الاسم خصوصاً في بلاد الشام.

٦. لاوي: " ٣٤ وَحَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتْ ابْنًا، وَقَالَتْ: «الآن هذه المرأة يفترن بي رجلي، لأني ولدت له ثلاثة بنين». لِذَلِكَ دَعِيَ اسْمُهُ «لَاوِي». " ( تك : ٢٩ ). لندقق فيما قالته لئئة أنها تتحدث وفي قلبها حزن وحسرة فرغم ولادتها لذكورين فإن قلب يعقوب ظل على حبه لرحيل شقيقته الصغرى وكانت تعتقد في كل مرة تلد فيها ابناً أن قلب يعقوب سيميل إليها كما تعتقد في زماننا هذا معظم النساء العربيات من أن كثرة الخلفة قادرة على جعل الزوج يميل إليها كونها ترضي نفسيته ، ولكن يعقوب بقي يتجاهلها فولد ذلك لديها الحسرة والألم ومن هنا جاءت تسمية الصبي " لوعي " أي شوق وحسرة من اللوعة يقول العرب : " قلبي مشتاق وبه لوعة " ولو طلبنا من أحد الآريين لفظ كلمة لوعي للفظها هكذا لاوي إذ أن هناك ثلاثة أحرف لا يتقن نطقها سوى العرب وهي الحاء والعين والصاد.

٧. يهودا: "٣٥ وَحَبِلْتُ أَيضًا وَوَلَدَتِ ابْنًا وَقَالَتْ: «هَذِهِ الْمَرَّةَ أَحْمَدُ الرَّبِّ». لِذَلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ «يَهُودَا». ثُمَّ تَوَقَّفَتْ عَنِ الْوِلَادَةِ. (تك: ٢٩) وهذا تحريف للاسم الحقيقي، حيث لم يعرف يعقوب ولا أفراد أسرته ولا جده أو عمه أو أبوه. الله بهذا الاسم أي يهوه بل كانوا يعرفونه باسم أيل والذي ارتبطت به معظم أسمائهم، وأول مرة في التاريخ وبحسب التوراة ذكر اسم الله باسم يهوه كان بعد يعقوب والأسباط بأربع مائة سنة بحسب كاتب سفر الخروج الذي هو عزرا، إذ يذكر كاتب سفر الخروج (٦: ٢-٣) ما يلي: " ٢ ثُمَّ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ. ٣ وَأَنَا ظَهَرْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَيِّ الْإِلَهِ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهُوه» فَلَمْ أَعْرِفْ عِنْدَهُمْ."

وهذا يعني أنه من المستحيل أن يسمى الولد باسم إله لم يكن معروفاً في ذاك الوقت، ويعني أيضاً أن الولد سمي باسم آخر يدل على كلام قائلته ليثة .... فماذا قالت ليثة؟

قالت: هذه المرة أحمد الرب وإذا راجعنا معظم الأسماء أعلاه سنعرف أن معظمها كان بناء على كلمات قائلتها ليثة وعليه فإن الاسم هو هادي وهذا الاسم مازال شائعاً لدى العرب حتى هذه الأيام. وربما مهدي أو هود تيمناً ببني عاد الذي يذكر العرب أنه هو عابر ذاته الوارد في التوراة أي جد كل قبائل العرب قاطبة بحسب التكوين وبحسب الإخباريين العرب أيضاً.

واعتقادنا هذا مبني على أن الكتابة في العادة يلوون السنتم بالاسم أي يغيرون نطقه لا كل حروفه. ٨. دان: " ١٠ فَلَمَّا رَأَتْ رَاحِيلُ أَنَّهَا لَمْ تَلِدْ لِيَعْقُوبَ، غَارَتْ رَاحِيلُ مِنْ أُخْتِهَا، وَقَالَتْ لِيَعْقُوبَ: «هَبْ لِي بَنِينَ، وَإِلَّا فَأَنَا أَمُوتُ!». ٢ فَحَمِي غَضِبُ يَعْقُوبَ عَلَى رَاحِيلَ وَقَالَ: «الْعَلِيِّ مَكَانَ اللَّهِ الَّذِي مَتَعَ عُنُقَ ثَمْرَةَ الْبُطْنِ؟». ٣ فَقَالَتْ: «هُوَذَا جَارِيَتِي بِلَهْهُ، ادْخُلْ عَلَيْهَا فَتَلِدْ عَلَيَّ رُكْبَتِي، وَأُرْزُقُ أَنَا أَيضًا مِنْهَا بَنِينَ». ٤ فَأَعْطَتْهُ بِلَهْهُ جَارِيَتَهَا زَوْجَةً، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَعْقُوبُ، فَحَبِلَتْ بِلَهْهُ وَوَلَدَتْ لِيَعْقُوبَ ابْنًا، ٦ فَقَالَتْ رَاحِيلُ: «قَدْ قَضَى لِي اللَّهُ وَسَمِعَ أَيضًا لِصَوْتِي وَأَعْطَانِي ابْنًا». لِذَلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ «دَانًا». (تك: ٢٩)

وهنا أيضاً اسم يدل على الحدث فقد قالت قد قضى الله لي وسمع أيضاً لصوتي فسمته دان" والسؤال من الذي دان أي قضى، الذي دان هو الله الديان أي القاضي يقال في الكتاب المقدس المسيحي لأن الله سيدين هذا العالم في آخر الزمان وهو ما يعني أن الله سيقضي بينهم وهو تذكير بيوم الحساب فيوم الدينونة أو يوم الدين هو يوم القضاء العام.

٩. نفتالي: " ٧ وَحَبِلْتُ أَيضًا بِلَهْهُ جَارِيَةُ رَاحِيلَ وَوَلَدَتْ ابْنًا ثَانِيًا لِيَعْقُوبَ، ٨ فَقَالَتْ رَاحِيلُ: «مُصَارَعَاتِ اللَّهِ قَدْ صَارَعْتُ أُخْتِي وَعَلَبْتُ». فَدَعَتِ اسْمَهُ «نَفْتَالِي». (تك: ٢٩)

انظروا إلى هذه الفرحة التي تملأ قلب راحيل بعد أن كانت تعاني من عدم الإنجاب ها هي جارتها

بلهة تشفي غليها وتلد ذكراً آخر وتصيح راحيل صارعت أختي وغلبتها. فماذا يقول العربي عندما تغلق أبواب الرزق في وجهه وفجأة تفرج انه يقول: وبالحرف الواحد " الله فتحها علي " وهذا ما قالته راحيل قالت (إن فتح لي) والآن لنطلب من آري أن يلفظ هذه الجملة بالعربية إنه بالتأكيد سيلفظها هكذا كما كتبها الكهنة (إن فتا لي) أو (نفتالي).

١٠. جاد: " وَلَمَّا رَأَتْ لَيْئَةَ أَنَّهَا تَوَقَّفَتْ عَنِ الْوِلَادَةِ، أَخَذَتْ زِلْفَةَ جَارِيَتِهَا وَأَعْطَتْهَا لِيَعْقُوبَ زَوْجَةً، ١٠ فَوَلَدَتْ زِلْفَةُ جَارِيَةَ لَيْئَةَ لِيَعْقُوبَ ابْنًا. ١١ فَقَالَتْ لَيْئَةُ: «بِسَعْدٍ». فَدَعَتْ اسْمَهُ «جَادًا». " (تك: ٢٩)

والسؤال من الذي (جاد)؟ إنه الله تعالى الذي جاد على ليئة بذكر جديد من جاريته زلفة بعد أن كانت قد توقفت عن الولادة. وجاد هي صيغة الماضي من الفعل يجود والأمر جود والجود هو الكرم والسخاء والعطاء.

ورجل جواد: سخي، وكذلك الأنثى بغير هاء، والجمع أجواد، كسروا فعلاً على أفعال حتى كأنهم إنما كسروا فعلاً.

١١. أشير: " ١٢ وَوَلَدَتْ زِلْفَةُ جَارِيَةَ لَيْئَةَ ابْنًا تَائِبًا لِيَعْقُوبَ، ١٣ فَقَالَتْ لَيْئَةُ: «بِغِبْطِي، لِأَنَّهُ تَغَبَّطَنِي بِنَاتٍ». فَدَعَتْ اسْمَهُ «أَشِيرَ». " (تك: ٢٩) والحقيقة أن هذا الاسم قد عجزت عن تفسيره وحاولت جاهدا البحث عن مصدر له ولكن دون جدوى فكلام ليئة لا يدل على شيء وبعدما ينست ألهمني الله أن افتح القرآن على سورة يوسف وقرأت السورة مرات ومرات فعثرت على اسمي علم فقط لأبناء يعقوب هما يوسف وبنيامين. أغلقت القرآن محتاراً لأنني لم أجد ضالتي ولكنني لم أتوقف عن البحث وعدت مرة أخرى إلى سورة يوسف حيث لفت نظري الآية التي تقول:

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {يوسف/٩٦} قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ {يوسف/٩٧} قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {يوسف/٩٨}

فالبشير هنا هو اسم علم لأحد أبناء يعقوب وقد حمل قميص أخاه يوسف وعندما اشتم يعقوب رائحة يوسف ابنه الفقيد عاد له النظر. فالبشير هنا ليس ملاك بل واحد من أبناء سيدنا يعقوب؛ هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية في المقارنة ما بين الاسم التوراتي والقرآني أشير والبشير نجد أن الكتابة قاموا بحذف حرفين فقط هما اللام والباء. والبشير من البشرى والبشرى التي زفت لليئة كانت ولادة ذكر جديد فأسمته البشير من الحدث.

١٢. يساكر: " ١٦ فَلَمَّا أَتَى يَعْقُوبُ مِنَ الْحَقْلِ فِي الْمَسَاءِ، حَرَجَتْ لَيْئَةُ لِمُلَاقَاتِهِ وَقَالَتْ: «إِلَيَّ تَجِيءُ لَأَنِّي قَدْ اسْتَأْجَرْتُكَ بِلُفْحِ ابْنِي». فَاصْطَبَحَ مَعَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ. ١٧ وَسَمِعَ اللَّهُ لَلْيَيْئَةَ فَحَبَلَتْ وَوَلَدَتْ لِيَعْقُوبَ

ابنًا خامسًا. ١٨ فَقَالَتْ لَيْئَةُ: «قَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ أُجْرَتِي، لِأَنِّي أَعْطَيْتُ جَارِيَتِي لِرَجُلِي». فَدَعَتِ اسْمَهُ «يَسَاكِرَ». " (تك: ٢٩) وإذا رجعنا إلى حديث لئئة مع يعقوب تلك الليلة فإن تلك الليلة لم تكن من حق لئئة بل من حق راحيل أخت لئئة إحدى زوجاته الثلاث الأخريات، ولكن لئئة احتالت عليه عندما أخبرته أنها أعطت لفاح لإحداهن مقابل التنازل عن تلك الليلة لها فخوفا من حدوث فضيحة أو انكشاف الكذبة بالأحرى طلبت من الله السترة وقد استجاب الله لدعائها أو رجائها هذا وبقي الأمر سرًا. وعندما ولدت الطفل ذكرت الله الذي سترها فقالت يا ساتر وذهب ذلك اسما للغلام، وقد حرفه الكهنة اليهود لعله في نفوسهم أو أختلف مع الترجمات.

١٣. زبولون: " ١٩ وَحَبِلَتْ أَيْضًا لَيْئَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا سَادِسًا لِيَعْقُوبَ، ٢٠ فَقَالَتْ لَيْئَةُ: «قَدْ وَهَبَنِي اللَّهُ هِبَةً حَسَنَةً. الْآنَ يُسَاكِنُنِي رَجُلِي، لِأَنِّي وَلَدْتُ لَهُ سِتَّةَ بَنِينَ». فَدَعَتِ اسْمَهُ «زَبُولُونَ». " (تك: ٢٩) لننظر ماذا قالت لئئة قالت الآن يساكنني رجلي، يساكنني أي يسكن معي أي يبقى طوال الوقت إلى جانبي، فهل السبب هو اقتناعها هذا وهو أن ولادة الستة بنين ستعمل على ترك يعقوب لزوجاته الأخريات والسكنى معها أم أن للموضوع سبباً آخر جعلها مقتنعة بأن ذلك سيحصل فعلا. ولو جننا للمنطق فولادة ابن سادس للئئة ما كانت بقادرة على جعل يعقوب يترك الأخريات ويسكن معها فما الفرق بين الخمسة والستة؟؟ والسبب الوحيد باعتقادنا القادر على جعل يعقوب يترك الدنيا وما فيها هو علة في الطفل ذاته أي أن يكون مريضاً على سبيل المثال أو واهن الجسم ضعيف واحتمال موته كان كبيراً إذا لم يعتن به العناية الكافية، لذلك اضطر أبوه أن يجلس طوال الوقت إلى جانب لئئة. والدليل على ذلك هو الاسم زبولون أي دبلان من الذبول وهو الشحوب ووهن الجسم، يقال نبته ذابلة أي ضعيفة.

ذَبَلُ النَّبَاتِ وَالْغُصْنِ وَالْإِنْسَانُ يَذْبَلُ ذَبْلًا وَذَبُولًا: دَقَّ بَعْدَ الرَّيِّ، فَهُوَ ذَابِلٌ، أَيْ دَوَى، وَكَذَلِكَ ذَبَلٌ، بِالضَّمِّ.

ولو طلبنا من آري أن ينطق هذه الكلمة لنطقها هكذا زبلون أو زبلان. إذن الاسم هو دبلان ١٤. دينه: " ٢١ ثُمَّ وَلَدَتْ ابْنَةً وَدَعَتِ اسْمَهَا «دِينَةَ». " (تك: ٢٩) وهذا الاسم واضح مصدره الدين أو الديانة ومعناه متدينة أو متعبدة ومذكرها دين، وربما هي مؤنث الاسم دان وهي عادة العرب أن يسموا اسم الأخت بمؤنث اسم أخيها.

١٥. يوسف: ٢٢ وَذَكَرَ اللَّهُ رَاحِيلَ، وَسَمِعَ لَهَا اللَّهُ وَفَتَحَ رَحِمَهَا، ٢٣ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ ابْنًا فَقَالَتْ: «قَدْ نَزَعَ اللَّهُ عَارِيَّ». ٢٤ وَدَعَتِ اسْمَهُ «يُوسُفَ» قَائِلَةً: «يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ». " (تك: ٢٩)

ماذا قالت راحيل ، قالت يزيدني الله ابناً آخر ، وهذا معناه أن حالة الولد الصحية كان ميؤوسا



منها أي أن موته كان قاب قوسين أو أدنى فحديثها هو دعوة لله أن يرزقها بطفل آخر ، والسبب في تقديرنا لهذه الحالة أن راحيل ولدت بمعجزة وكانت ولادتها عسيرة ، فهي فرحة أن الله قد مسح عارها كون الأخريات شمتن بها ولكنها وفي نفس الوقت ترجو الله أن يعوضها بآخر إن مات ، ومن هنا جاءت التسمية يوسف أي يوسف وهي من عبارة و أسفاه ينطقها العربي عندما يفقد عزيزا عليه أو يخيب رجاؤه في شيء يقول شخص لآخر إن فلان مريض يقول هذا شيء يوسف أو مؤسف وقد جاء الاسم بحسب الحدث .

١٦. بنيامين: " ١٦ ثُمَّ رَحَلُوا مِنْ بَيْتِ إِيلَ . وَلَمَّا كَانَ مَسَافَةً مِنَ الْأَرْضِ بَعْدُ حَتَّى يَأْتُوا إِلَى أَفْرَاتَةَ ، وَلَكِنَّ رَاحِيلَ وَتَعَسَّرَتْ وَلَادَتَهَا . ١٧ وَحَدَّثَتْ حِينَ تَعَسَّرَتْ وَلَادَتَهَا أَنَّ الْقَابِلَةَ قَالَتْ لَهَا: «لَا تَخَافِي، لِأَنَّ هَذَا أَيْضًا ابْنٌ لَكَ» . ١٨ وَكَانَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهَا ، لِأَنَّهَا مَاتَتْ ، أَنَّهَا دَعَتْ اسْمَهُ «بَنُ أُونِي» . وَأَمَّا أَبُوهُ فَدَعَاهُ «بَنِيَامِينَ» . ١٩ فَمَاتَتْ رَاحِيلُ وَدُفِنَتْ فِي طَرِيقِ أَفْرَاتَةَ . " (تك: ٣٥)

وهذا يعيدنا إلى قصة ميلاد يوسف، لقد كانت راحيل تحتضر عندما ولدت ابنتها الثاني وإذا كان الأول قد سبب لها الألم والمرض أثناء الولادة فإن الثاني كان السبب في موتها، ولهذا أطلقت عليه اسم بن أوني عندما عرفت انه ذكر من القابلة، والأون: الإعياء والتعب كالأين. مما يعني أن الاسم هو ابن مرضي وربما ينقص الاسم حرف واحد حتى يصبح صحيحا، وهو حرف الألف وبعد إضافته سيصبح الاسم هكذا بن أواني أي بن موتي والأوان بالعربية هي المرحلة التي تسبق الرحيل وهي النهاية أيضا. ولكن يعقوب لم يعجبه الاسم فسيظل سببا في تدمير نفسية الغلام فقال بن يامين أي بن يمن واليمين واليمن هما الخير باللغة العربية والمعنى الكامل للاسم هو ابن الخير.

وبعد استعراض تحليل د. أبوعامر وتفسيره لمعنى الأسماء ومصادرها وقصتها، بحثت فيما سمي لغة عبرية فلم أجد لها (أي الأسماء) أي معنى فيها، وعدت إلى قاموس الكتاب المقدس لأفهم هل هناك من تفسير لأجد أن ما ورد في كتاب "الشفرة التوراتية" كان صحيحا مئة في المئة. فلنأخذ على سبيل المثال اسم راحيل Rachel في القاموس: اسم عبري معناه "شاة" ولكن اسم الشاة باللغة العبرية إذا كان المقصود الماعز فهو "عوز" وإذا كانت نعجة فهي "كبيسه" فكيف خرج معهم أن معناها شاة. إذا الكلمة عربية ومعناها ناقه. أما اسم لينة فهو مأخوذ كما هو من العربية بمعنى البقرة الوحشية. ولنأخذ اسم إسرائيل يقول القاموس أن معناه بالعبري عبد الله ولكن في الحقيقة أن عبد الله بالعبري هي عبد إيل أو بشكل أدق عوفادي إيل أو عوفد إيل أو عفديهوه ovad بينما يقول د. علاء أن معناه هو أسر إيل أفرح الله وهنا الموضوع منطقي، أعتقد بعد عودتي لقاموس العبرية وقواميس الكتاب المقدس أن الكل يعرف أن هذه الأسماء عربية ولكن التغاضي عن ذلك كان يخدم أمورا دينية لاهوتية أكثر من البحث عن الحقيقة.

وفي الحقيقة فإن ما يسمى اليوم باللغة العبرية أو العبرية الحديثة هي لغة ملفقة صاغها يعازر بن يهودا الذي ولد باسم إلبيرز إسحاق برلمن في ٧ يناير ١٨٥٨ في مدينة لوجي التي كانت تقع في محافظة فيلنيوس بليتوانيا (أما اليوم فتقع داخل حدود البيلاروس). كان أهله يهوداً أشكنازاً متشددين بالدين ومن طائفة حسيدية. عندما كان في الخامسة من عمره تيمت عن أبيه فأرسلته أمه ليتعلم في يشيفا (مدرسة يهودية دينية). عندما كان في العشرين من عمره سافر إلى باريس ليتعلم الطب، ولكنه ترك الدراسة بعد ٣ أعوام قبل إتمامها.

في أبريل ١٨٧٩ نشر مقالته الأولى حيث قال إن نهضة اليهود ستكون في فلسطين "إيرتس إسرائيل" وإن أساسها سيكون تبنى اللغة العبرية في جميع مجالات الحياة اليهودية، لأن الشعب لا يتمكن من النهضة دون لغة مشتركة لأبنائه.

وقد أفرد د. أبوعمار بحثاً واسعاً حول هذا الموضوع، أي أصول ما سمي لغة عبرية ودحض أن تكون هناك لغة بهذا الاسم، فالعبرية القديمة هي "لسان كنعان" كما يقول النبيان ارميا واشعيا في سفرهما. ويعلق د. سيد القمني على أن العبرية هي لغة كنعان فيقول "أما النسخة العبرية، فتؤكد على غلافها {قد تُرجم من اللغات الأصلية، وهي العبرانية (أصلاً الكنعانية) واللغة الكلدانية (وما تحمله من تراث رافدي طويل) واللغة اليونانية (وما حملته من علوم جامعة الإسكندرية وتراثها المصري العريق)" (الأسطورة والتراث ص ١٩٠).

للأسف الشديد فقد أنظلت على بعض العرب ومنهم مؤرخون وكتاب بدعة اللغة العبرية، فظنوا أن هناك شعباً سمي عبرياً. وفي الحقيقة كلمة عبري كما يوضح د. علاء أبوعمار في الفصل الأول من كتابه "فك الشيفرة التوراتية" تعني العرب والبدو منهم تحديداً من عابر السبيل أي الرحل، وإسرائيل تعني مفرحي الله أي أبناء إيل واليهود هم أبناء يهوه لا إيل الذي هو الله العبري. يبرهن الكاتب على ذلك من أسفار التوراة نفسها.

لقد صنعت الصهيونية تاريخاً لها من تاريخنا، ومطبخاً لها من مطبخنا، ولباساً من البستنا، ولغة اشتقت من لغتنا العبرية والعامية الفلسطينية تحديداً. وهكذا أسسوا شعباً يريد أن يجردنا من أرضنا ووطننا. فهل بعد كتابي د. أبوعمار "فك الشيفرة التوراتية" و"في البدء كان إيل" بقي لدى أحدٍ شك في أن قضيتنا عادلة، وأننا نحن شعب الله المختار؟ .